الخصائص الأسلوبية في قصيدة "نحن وجميلة" لنازك الملائكة

طالبة الدكتوراه: حورية تومي

إشراف الدكتورة : طاطة بن قرماز.

جامعة الشلف /الجزائر

الملخص:

حاضرة هي الثورة الجزائرية في وجدان أبناء الجزائر، حاضرة في ذاكرتهم، في كيانهم، في مدوناتهم الشعرية، لا بل لم تقتصر على أبناء هذا الوطن فحسب، وإنما تعدت الحدود الجغرافية، لتصبح مصدر إلهام الشعراء في كامل ربوع الوطن العربي، فجادت قرائحهم بأجود القصائد التي فاضت من بؤرة تمجيد هذه الثورة، وباتت رمزا لا تخل منه معظم أشعارهم، وزيادة على حمل هذه القصائد لقيمة قومية، فإنها جاءت ثرية بإركامات أسلوبية تتكشف لنا من خلال التحليل الأسلوبي لتشكيلاتها اللغوية.

الكلمات المفتاحية:

الأسلوبية، الجمالية، البنية، الإيحاء، السياق، التظافر، الإوالية، الإجراء الأسلوبي.

Résumé:

La Révolution Algérienne toujours présente dans l’ame, et dans la mémoire des Algérien, Elle est monifesté sur leur production litteraire et spisialement ses poésé,sa présence est pas seulement chez les Algériens. Mais elle est dépasse les limites géographyque. Danc elle est devenu un sujet d’insiration chez les poétes Arabe. Alors les poétes Arabs écrivent des mervelle poémes s’écouler en centre de glorification de cette révolution. Ces poémes enlévé une valeur nationaliseme et en cours elle riche avec des convergence stylistique qui seclarifier ou cours de l’analyse stylistique de ses glossogénies.

Mots clé:

Stylistique, Structure, Connotation, Contexte, Connvergence, Mécanisme, Procédé stylistique.

نسعى من خلال تحليل قصيدة نحن وجميلة للشاعرة نازك الملائكة تحليلا أسلوبيا إلى توصيف مظاهر التوظيفات اللّغوية الخاصّة في لغة الشاعرة من ناحية قيمتها الأسلوبية بالإفادة من علم الأسلوب ، وتعنى هذه الدراسة بتحديد ووصف المثيرات الأسلوبية، في شعر نازك الملائكة، ثم الكشف عن تأثيراتها الجمالية والدلالية الكامنة. إذن تقوم هذه الدراسة على تحليل العناصر والمكونات اللغوية لهذه القصيدة ، و من ثم استنتاج القيم الأسلوبية والجمالية التي تحتكم إليها عناصر ومكونات قصيدة نحن وجميلة.

جمالية الأصوات في قصيدة "نحن وجميلة":

تعدّ قصيدة "نحن وجميلة" واحدة من أهم القصائد الشعرية التي جسدت تجربة نازك الملائكة الإبداعية في كتابة الشعر الحر والبدء بمرحلة التجديد الشعري في العراق، إذ يمكننا أن نلاحظ وربما من قراءتنا الأولى لأبيات هذه القصيدة إحكام البناء الموسيقي والجدة فيه، حيث خرجت الشاعرة عن الوزن العمودي الخليلي إلى نظام التفعيلة الواحدة، فاعتمدت "بحر المتقارب" وله ثمانية أجزاء كلها خماسية وهي: فعولن تتكرر أربع مرات في الشطر الأول ومثلها في الشطر الثاني"[1]، وقد تصرفت فيه باعتمادها على نظام التفعيلة الواحدة، الأمر الذي ساعدها على كسر الرتابة الموسيقية وهو ما نلحظه من خلال هذه الأبيات مثلا:

"جميلة تبكين خلف المسافات خلف البلاد"[2]

جميلة تبكين خلف لمسافات خلف لبلاد

00//0/0//0/0//0/0//0/0///0//

فعول فعولن فعولن فعولن فعول ، وهو من الأبيات الصافية الملائمة لشعر التفعيلة، وقد دخلت عليه بعض الزحافات غير المستكرهة بل زادت من خفته، وقد سمي المتقارب "متقاربا لاضطرابه وتقارب أجزائه لاسيما بعد تعرضه للزحافات والعلل"[3]، وهو يتلاءم مع نفسية الشاعرة المضطربة، فالبؤرة الشعورية التي فاضت منها هذه الأبيات هي بؤرة الشعور بالقومية والرفض للاستعمار الفرنسي للجزائر، وما ينتج عن ذلك من الثورة والاضطرابات النفسية، كما نوعت الشاعرة في القافية وحرف الروي من سطر لآخر أو من مجموعة أسطر لأخرى وهو الأمر الملاحظ على حرف الروي الذي نجده متنوعا في السطور الشعرية التالية

"جميلة ! تبكين خلف المسافات، خلف البلاد

وترخين شعرك كفك دمعك فوق الوساد

أتبكين أنت؟ أتبكي جميلة؟

أما منحوك اللحون السخيات والأغنيات؟"[4]

استعملت الشاعرة نازك الملائكة حرف "الدال" في السطر الأول، و"اللام" في السطر الثالث، ثم "التاء" في السطر الرابع، ولهذا التنويع قيمة أسلوبية بالغة حيث تجعل متلقي القصيدة يتفاجأ في كل سطر بحر روي جديد يخالف توقعه مما يولد لديه نوعا من الدهشة تحقق لديه متعة ولذة القراءة، إذن استثمرت نازك الملائكة الموسيقى كأداة بنائية واستعملتها استعمالا خاصا جعلها كسمة أسلوبية تميز شعرها وتؤثر في متلقيه، غير أن الموسيقى الخارجية ليست السمة الوحيدة التي تميز أسلوب هذه القصيدة إذ يلاحظ على الشاعرة إحكام قبضتها على اللغة من أصغر عنصر وهو الصوت حتى تبلغ الجملة فتجعلها تستجيب لنفسيتها وتعبر عنها، وتخلق منها في ذات الحين جمالية وعلامة أسلوبية فارقة حيث تنتقي من الحروف والكلمات ما يتلاءم مع جو القصيدة ومعناها ويضفي عليها الانسجام ويسلط مع ذلك تأثيره على متلقيها، مستعينة في ذلك ببعض الآليات كاستخدام الأصوات المهموسة أحيانا والمجهورة أحيانا أخرى، وكذلك

التكرار، والجناس، وغيرها من عناصر الانسجام النغمي التي تشكل إيقاعا موسيقيا يعتبر مثيرا نصيا ذا قيمة أسلوبية.

ظاهرة التكرار وإيحاءاتها في قصيدة "نحن وجميلة":

وظّفت الشاعرة أسلوب التكرار كإجراء أسلوبي يشدّ انتباه المتلقي ويكشف عن غاية سيكولوجية لنازك الملائكة، فتكرارها لكلمات بعينها وكسرها لعنصر الاختيار ليس أمرا جزافا بل إنه ظاهرة لغوية تحمل دلالة ذاتية ووظيفة أسلوبية جمالية، إذ يلاحظ المتصفح لقصيدة نحن وجميلة تردد لفظة "جراح" في بشكل لافت :

"ونحن منحنا لوصف **جراحك** كل شفه

و**جرحنا** الوصف خدش أسماعنا المرهفة"

وأيضا: "أمن **جرحها** الثر نطعم أشعارنا بالمعاني

...وذوبي أمام **الجراح** النبيلة

هم حملوها **جراح** السكاكين..

جراح المعاني الغلاظ الجهولة

فيا **لجراح** تعمق فيها نيوب فرنسا

و**جرح** القرابة أعمق من كل جرح وأقسى

فواخجلتا من **جراح** جميلة"[5]

ترسّم تكرار كلمة جرح متواردا تسع مرات في أبيات القصيدة ، حيث وظفته الشاعرة بصيغ وضمائر مختلفة وكان استعماله مرة بصيغة الجمع : الجراح ، ومرة بصيغة المفرد : جرح، ومرة بضمير الجمع : جرحنا ومرة بضمير الغائب : جرحها ، وقد تباين استعماله من خلال أسلوب ناوبت فيه الشاعرة لفظة الجرح فتارة نكرة : جراح وتارة معرفة : الجراح ، ولهذا التكرار دلالة عميقة ، وقيمة أسلوبية في إضفاء تنغيم إيقاعي بصري وتنغيم إيقاعي سماعي ، إذ يعبر عن: خيبة الأمل، الحس الإنساني، الموقف الرافض للقيود والتضييق...، لكن ورغم تكرارها الكثير لبعض الأسماء والأفعال لا نجد قصيدتها تتسم بالرتابة بل في كل مرة تكسو المورفيمات المتكررة دلالة جديدة الأرجح أنها تصب في الحالة السيكولوجية نفسها هي دلالة الألم والحزن والشعور بظلم الحياة والضياع...، وهذا التكرار يقوم على نوع من التداعيات الذاتية ويرمي إلى إثارة الانفعال، وقد تجاوزت فيه الشاعرة الحمولة الدلالية إلى الحمولة الجمالية ونقلته من الجانب اللفظي اللغوي لتجعله مثيرا أسلوبيا يمنح أسلوبها الجدة والفرادة.

أسلوب التضاد في قصيدة "نحن وجميلة":

يشكل التضاد سمة أسلوبية بارزة في هذه القصيدة، إذ إن الشاعرة استخدمته بطريقة خاصة ومتميزة، لتفجر من خلاله التنازع النفسي الذي يختلجها، والتضاد في هذه القصيدة ليس مجرد قضية بلاغية ، بل أصبح بصمة أسلوبية مثيرة عندما استخدمته نازك الملائكة بطريقة مخصوصة، كقولها مثلا:

"هم حملوها جروح السكاكين في **سوء نيه**

ونحن نحملها في ابتسام و**حسن طويه**"[6]

أما من الناحية الأسلوبية فقد حقق بعدا جماليا ، ففرض على المتلقي التأمل العميق ليزيد من حدّة التأثير فيه ، وتوظيف أسلوب التضاد في هذه القصيدة هو تداع طبيعي لحالة الصراع الداخلي الذي تعيشه الشاعرة ولا يمكن أن نغفل –في أي حال من الأحوال- ما للتضاد من أثر جمالي في السياق الأسلوبي.

الإركامات الأسلوبية في قصيدة "نحن وجميلة":

تسوق نازك الملائكة جملة من الإركامات الأسلوبية التي تكسر السياق الأسلوبي فتفاجئ القارئ بخرقها لأفق توقعه، ويظهر ذلك من خلال الحذف والتقديم والتأخير واستراتيجية إرجاء المعنى، وكذا عندما تورد العنصر مجملا ثم تفصل فيه، وغالبا ما تحذف ثم تتدارك ذلك الحذف أو تجمل ثم تفصل فتقرب لنا الصورة، في مثل قولها:

"**هم** حملوها جروح السكاكين في سوء نيه

و**نحن** نحملها في ابتسام وحسن طويه

فيا لجراح تعمق فيها نيوب **فرنسا**

وجرح **القرابة** أعمق من كل جرح وأقسى

فواخجلتا من جراح جميلة"[7]

تستخدم الشاعرة في الأسطر الشعرية السابقة الضمائر الدالة على الأنا والآخر ولكن لا تفصح عن هوية هذه الذوات مباشرة وإنما تضمر ثم تفصل لاحقا فتوضح أن الضمير "هم" يعود على المستعمر الفرنسي، أما الضمير "نحن" فيعود على العرب لقولها: "جرح القرابة أعمق من كل جرح وأقسى"، وهي بهذه الطريقة تجعل المتلقي يقوم بنشاط ذهني فيشارك بذلك في بناء نص القصيدة، وبالتالي تثير انفعاله وتترك فيه أثرا يجبره على الاستجابة له استجابة معينة فتكون بذلك قد حققت المقصدية والتأثير الأسلوبي في آن واحد، "وتحد من حرية إدراك القارئ"[8]، كما نلحظ كثرة الاستفهامات في القصيدة وهي سمة مميزة لأسلوب الشاعرة إذ إن القصيدة كلها مبنية على التساؤلات حيث تقول:

"أتبكين أنت؟ أتبكي جميلة؟

أما أطعموك حروفا؟ أما بذلوا الكلمات؟

ففيم الدموع إذن يا جميلة؟."[9]

تحمل وهذه الاستفهامات معاني الضياع والشعور بالقهر والحيرة، وهي بهذه الاستراتيجية اللغوية تجعلنا نتأمل ونتساءل ونتخيل فنمضي قدما بحثا عن الإجابة عن تساؤلاتنا ، ثم نرجع إلى الخلف ونربطها بالاحتمالات التي افترضناها للإجابة عن هذه التساؤلات وتصحيحها ، فيفسح المجال أمام القارئ الذي يملأ الفراغات النّصية بوهمه وبذلك تجعله يتفاعل معها "فالأسلوبية في نهاية المطاف أسلوبية التلقي".[10] وما الأسلوبي إلا متلق من نوع خاص، "والمعنى الحقيقي للنص هو فراغه"[11]، وهي بهذه التساؤلات تجعلنا نتيه "تيها فعالا ومنهجيا"[12] ، وهي تقنية تعبيرية تتوخاها الشاعرة نازك الملائكة في محاولة منها للسيطرة على خمول القارئ ، حيث ينقاد لتلك السياقات انقيادا لما تتضمنه من قيم أسلوبية تأثيرية.

يمكننا كذلك أن نلاحظ سمات أسلوبية أخرى في قصيدة "نحن وجميلة" كأسلوب النداء الذي يعكس حالة من عدم التحدد والضياع والبحث عن الحبّ والحرية والأمان ومن أمثلة ذلك: "جميلة"[13]، "يا لجراح..."[14]، وكلها ظواهر لغوية أسلوبية ساهمت في اتساق وانسجام القصيدة الجمالية والطابع الخاص الأسلوبي عليها.

من خلال التحليل الأسلوبي لقصيدة "نحن وجميلة"، نستطيع أن نلحظ انسجام الظواهر الأسلوبية المميزة لشعر نازك الملائكة، وقد انعكست انفعالات الشاعرة النفسية والعاطفية على لغتها الفنية بشكل واضح، من خلال استثمارها لبعض الظواهر الأسلوبية كالتكرار الذي يترجم حالتها النفسية المتأزمة والمتذبذبة، زيادة على الجمالية التي حققها البناء الموسيقي، بفضل أدائها الأسلوبي المتميز الذي تجلى في جملة الانزياحات والإركامات الأسلوبية كالحذف، والتقديم والتأخير، والنداء، والاستفهام وغيرها من المؤشرات الأسلوبية التي كشفت عن تشكيلات لغوية برعت الشاعرة في نسجها ، حيث أسبغ أسلوبه الشعري بسبغة أسلوبية استرعت اهتمام القارئ وأضحى أسيرا لتلك الظواهر الأسلوبية مما نتج عنه تفاعل واستساغة .

مراجع البحث:

[1] -ينظر؛ المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، موسى بن محمد ابن المليانى الأحمدي، منشورات السهل، الجزائر، ط1،2009، ص177.
[2] - شظايا ورماد، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ط1، 1997، ص505.
[3] -ينظر؛ المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، موسى بن محمد ابن المليانى الأحمدي، ص177.
[4] - شظايا ورماد، نازك الملائكة، ص505.
- المصدر نفسه، ص506/507.[5]
[6] -المصدر نفسه، ص507.
[7] - المصدر نفسه، ص507/508.
[8] -ينظر؛ معايير التحليل الأسلوبي، مكائيل ريفاتير، تر: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة –البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص6.
[9] - شظايا ورماد، نازك الملائكة، ص505.
[10] -الأسلوبية، جورج مولينيه، تر بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006، ص21.
[11] - استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، محمد بوعزة، دار الأمان، المغرب، ط2، 2011، ص70.
[12] - من الهرمونيطيقا إلى التفكيكية، فرناند هالين، فراك شويريوجين، تر عبد الرحمن بوعلي، دار النشر الجسور، وجدة، ط1، 1995، ص51.
[13] - شظايا ورماد، نازك الملائكة، ص505.
- المصدر نفسه، ص508.[14]